

الريف السوري

مُدونة لأحياء المعالم الغابرة ونشر الفوائد الحاضرة

بقلم الأديب الكبير الأستاذ يوسف الكناني

لا بدع إذا بلغ اهتمام المحققين والمدققين حداً كبيراً في نبش ما انطوى من تاريخ ريفنا السوري، ورسم الصور الصالحة الحية التي تساعد على إنعاش نهضته ورفع مستواه الاجتماعي، كي يغدو في نهضته الحديثة المرتقبة عنصراً طيباً في تقدم الوطن وازدهاره، ذلك لأن الريف هو مصدر الإلهام الصافي والمواهب النقية، ومركز تجمع العرب الخالص الذين انطلقت جموعهم في الحقبة السالفة إلى ارتياد المدن الكبيرة بحثاً عما يؤمن لهم أسباب عيشهم وطمانينتهم.

إن هذه الكتل من الأبنية الطينية المبعثرة في طول البلاد وعرضها والتي لا تحتوي على أثر للشروط الصحية، وهذه الطرق المتعرجة الملتوية المحدبة المقعرة المشحونة بالحجارة والأتربة، وهذه الأرض القاحلة الجرداء التي تحيطها من كل جانب، وهذه الوجوه المشعثة البائسة التي يستلقي أصحابها هنا وهناك بتأثير الخمول المؤلم، وهذه الروائح غير المستحبة المنبعثة من بين كل ذلك، إن هذه التجمعات المحرومة من كل تنسيق وتنظيم والتي يطلق عليها اسم (الريف السوري) مفتقرة إلى نهضة سريعة شاملة تتناول جميع مرافق الحياة الصحية والعمرانية والثقافية والاجتماعية والزراعية، وحرى بالدولة التي تسهر على مصالح الشعب وترعاها، أن تتعهد هذا الريف المحروم بعنايتها الخاصة وأن تحدث دائرة خاصة باسمه في وزارة الاقتصاد أو في وزارة الشؤون الاجتماعية عند إحداثها تنحصر مهمتها بترقية الريف وإحداث الوحدات الاجتماعية الكبرى التي تجدد

حياته وتسير به نحو اعتناق أحدث أساليب التقدم والازدهار.

ويسرنا ويسر كل عاقل في هذه البلاد أن يقوم مواطن فاضل من خيرة المواطنين علماً وثقافة، فيعمل جاهداً على تزويد المكتبة العربية بكتاب قيم عن الريف السوري، ماضيه وحاضره ومستقبله مبتدئاً بأقضية النيك والقטיפه ودوما، وقد تضمن هذا الكتاب بحثاً مستفيضاً عن المعالم الغابرة وعما يراه من الوسائل الناجحة لبعث الريف بعثاً مرتكزاً إلى العلم والمعرفة بعيداً عن تلك التخربات الهدامة التي ألقت العداوة والبغضاء في القرية الواحدة بل وفي الأسرة الواحدة إلى حد التناحر، ولا ريب في أن الوصول إلى هذه النتائج واكتشاف منابع الخير والرفاه يحتاج إلى جهود كبيرة متواصلة وإمكانيات مادية كبيرة ساعد على تنشيطها أنصار العلم ومحبو الخير للوطن وأهله.

إن المؤلف الأستاذ "أحمد وصفي زكريا" المعروف بأبحاثه الدقيقة التاريخية والزراعية جدير بكل شكر وتقدير على مؤلفه الذي جمع فأوعى ولم يترك في موضوع الريف شاردة ولا واردة إلا أحصاها وقد سد فراغاً كبيراً في المكتبة العربية وجدير بكل من يهتم بهذه الشؤون الدقيقة أن لا تفوته فرصة الاطلاع على هذا المؤلف القيم.